الرهبان فغمغم ڤاسيلي : « إذا كنت لاتستطيع أن تكرسني راهباً فضع على جثتي على الاقل ثوب الرهبنة عند دفني دلالة على رغبتي الأخيرة ».

وكان أخوه أندريه والنبيل فورونتسيف لايزالان يعارضان ، ولكن المتروبوليت قال لهما : « إن طبقاً من الفضة ثمين ولكن طبقا من الذهب اثمن منه ، فإذا كنتم تمنعونني من اداء هذا العمل الصالح فإن بركتنا ستمنع عنكم » ، عند ذلك خرجا وتركا ڤاسيلي بين يدي الكنيسة . وقد أحضروا له عرشه وغدا ڤاسيلي الثالث راهباً باسم الراهب ڤارلام . ويروي تشيغونا بودز هوجين الذي كان حاضراً لحظة الوفاة أن روح العجوز فارقته على شكل غيمة خفيفة .

وقد البسوا جسد الفقيد ابسط ثياب الرهبان ومدوا فوق السرير غطاء من الحرير الأسود وعرض ڤاسيلي الثالث في ابهة عظيمة وزاره كل اللذين ارادوا أن يقدموا له القبلة المسيحية التي تدل على المسامحة والوداع . واظهرت موسكو المها بالأغاني الحزينة والدموع التي لم تكن تخلو مع ذلك من صدق وتأثر امام رهبة الموت القديمة وتقاليد الحداد ، وعندما علمت هيلانة بوفاة زوجها سقطت في إغماءة دامت ساعتين كما يقال . ولم يكن ذلك يعني أنها كانت تعاني من حزن غير قابل للعزاء ، ولكنها شعرت أن من الأسلم لها أن تكون في حالة إغماء من أن تنخرط مباشرة في دوامة الأعمال .

وحفر النبلاء حفرة ووضع جسد ڤاسيلي في تابوت وحُمل على اكتاف عدد من رهبان دير سيرجي ترويتسكي ونقل بالأناشيد والتراتيل إلى مثواه الأخير في كاتدرائية سان ميشيل أرشانج . ودق ناقوس الكريملين الكبير دقات الحزن للتعبير عن الم خانقا بذلك اغاني رجال الدين ونحيب المنتحبين ، وكان ذلك في الخامس من كانون الأول دبسمبر عام ١٥٣٣ .